الباب الثالث

طريقة إعداد الخطبة

طريقة إعداد الخطبـــة

من المهم جداً أن يعد الخطيب خطبته ويحضر موضوعه حتـــى يكون كلامه مركزاً ومنظماً، فيفيد مستمعيه ويرضى ضميره،وأيضا ينظم أفكاره ويرتب عناصره فى نقاط.

وليأخذ شكل الإعداد الآتى:

إذا كانت مثلا خطبة دينية كخطبة الجمعـــة، يـــشرح الخطيـــب أفكاره مستندا على القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف مـــن الأئمة والصالحين وأعمالهم، ويستخلص النتائج التى تناسب الظروف الراهنة والأحوال الطارئة، وهو بذلك يشد انتبـــاه المـــصلين إليـــه ويجعلهم ينتظرون موعد خطبة الجمعة بفارغ الصبر، فيؤمه النـــاس وتقصده الجماهير من كل مكان مما هو معروف من ســـيرة بعـــض الدعاة فى ماضينا وحاضرنا.

أما إذا لم يعد خطيب الجمعة موضوعه فستشير كل الدلائل إلـــى أنه شارد الذهن. مشتت الفكر فيشرق ويغرب ويأتى بأفكار من هنـــا وهناك وبكلام أكثره غير منطقى يشيع فيه التناقض والاضـــطراب، وكثيرا ما ينسى شيئا وتغيب عنه أشياء، فيكرر نفسه ويطول الكـــلام ويمضى الزمن دون جدوى ويصاب السامعون بالملل والتذمر، وكل ذلك نتيجة اعتماد الخطيب على الكلام المرتجل الذى قد يخطر على باله فى اللحظة والتو دون سابق تحضير.

ومثال ثان: هب أنك مقدم على الحديث مع مسئول كبيـــر، لـــك عنده حاجة فماذا تفعل؟!.. هناك عدة أمور لابد أن تراعيها حينئذ:

أولاً: أن تستبين الموضوع الذى ستتكلم فيه وتحدد غايتـــك منه تحديداً كاملاً.

ثانياً: أن ترتب مقدمات الحديث وأساليب النقاش مـــستعداً للـــرد على كل ملاحظة يمكن أن تثار.

ثالثـــاً: أن تكون مرناً ولبقاً فى كل ما يوجه إليـــك من كلمـــــة أو رأى أو معارض.

رابعاً: أن تستعد بالأسلوب السهل والكلمات ذات المعنى الأكثـــر تعبيرا عن الفكرة.

وهكذا.. وعلى ضوء هذا من الممكن أن تعد الخطبة.

وأنه من الخير دائما أن يخلو الإنسان إلى نفسه قبل الخطابـــة أو الكـــلام، ثم يذهـــب فى هـــدوء يتصور نفســـه قائما فى الموقـــف الذى سيكون عليـــه، ثم يشحـــذ عقلـــه ومواهبـــه لمواجهـــة هـــذا الموقف واحتمالاته.

فبقدر إتقان أساليب الخطابة والاستعداد لها والمران عليهـــا فـــى "البروفات" مراناً كافياً يكون النجاح المرجو.

وبهذا نرى أن هناك أركاناً ثلاثة لابد للخطيب من رعايتها:

(١) موضوع الخطبة أى "عنوانها".

(٢) المادة العلمية التى تقوم عليها الخطبة.

(٣) صياغتها النهائية.

ولتسهيل الأمر عليه: فإنه ينبغى له أن يقسم الخطبة إلى عناصر وفقرات مترابطة، ثم يستحضر هذه العناصر، ويستحضر فى نفـــسه أساليبها والعبارات التى تؤدى بها.. وسنأخذ مثالا على ذلـــك وهـــو طريقة إعداد الخطب الدينية.

كيفية إعداد الخطب الدينيــة

أولاً: موضوع الخطبة الدينية:

موضوع الخطبة فى الإسلام وميدانها هو نفس الميدان والمجــال الذى يعمل فيه الإسلام.

والمجال الذى يعمل فيه الإسلام هو الحيــاة الأولــى والآخــرة جميعا، فليس عمله هو الحديث عن الجنة والنار أو الحياة والمــوت كتلك الكلمــات التى مل الناس سماعها، وكتلك الخطب المقروءة من بعض الدواوين والتى يسمعها الناس فى بعض مساجد القــرى، ثــم يخرجون لايدرون ماذا قال خطيبهم إلا حديثا عن الجنة أو النار، أو يخرجون وقد حفظوا ما قالــه لكثرة ما تردد عليهم.

أو كتلك الخطب التى تتناول النوح على الحياة والتخويف بالموت على نحو مطلــق، فــإن هــذا لا يحصل فى القلــوب إيمانا بــالله ولا توحيدا، ولايفيد معرفة خاصة ولايذكر بآلائه، ولا يبعث النفوس على محبته جل شأنه والشوق إلى لقائه، فيخــرج الــسامعون وهــم لايدرون من الخطيــب شيئــا إلا أنهــم سيموتون وتقــسم أمــوالهم ويبلى التراب أجسادهم !

كما أن موضوع الخطبة فى الإسلام ليس هو الحديث عن هــذا الجانب من الحياة أو ذاك فقط وإغفال الآخر.

إن موضوع الخطبة فى الإسلام هــو تلــك المعــانى الواســعة المحيطة بالحياة الأولى والآخرة معا،المتحدثة عن الــدنيا والآخــرة والجسم والروح والسلم والحرب والإنسان والجماعة، وكل المعــانى المفصلة لكافة الأحكام فى شتى شئون الحياة.

ومن تأمل خطب الرسول ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوجيه وذكر صفات الله جل شأنه وأصول الإيمان الكليــة والدعوة إلى الله وإحصاء نقمه وسرد نعمه التى تحببه إلــى خلقــه،

وذكر أيام الله والأمر بشكره وذكره، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم. فالإسلام والحمد لله واسع جدا وفيه مجال للقول الكثير.

وعموما.. ففى الإسلام نظام شامل لكل مرافق الحياة "فيه الأحكام التى تنظم سلوك الناس فى كل ما يصدر عنهم من إعمال عبادات على تعددها ومعاملات على تنوعها وتخالفها.

وقد استقصى الفقه الإسلامى الشئون الاجتماعية وبينها حتى دخل مع الرجل بيته وحكم بينه وبين زوجته، فبين ماله عليها ومالها عليه، وفصل ما عسى أن يقع بينهما من خصومة، وحكم بين الرجل وولده وبينه وبين نفسه حتى بعد مماته بين تقسيم ميراثه، ودفنه وقبره ثم أوصى بأيتامه خيرا.

وبين الفقه كيف يوصى على أولاده وقدر ما يوصى به، وكيفية الحجر على السفيه، كل ذلك لينتظم أمر الحياة وليعيش المسلم عيشة منتظمة يتفرغ معها لإعداد الزاد ليوم المعاد،ولما كانت هذه الأحكام صادرة عن الوحى كان فى التزامها والعمل بها سعادة البشرية أفرادا وجماعات. وكل ذلك تحقيقا للقصد من رسالة محمد ﷺ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (١).

نذكر ما سبق ذكره لنبين كيف أن الإسلام شمل كل الحقائق التى يحتاج إليها العالم فى شئونه جميعا، وصدق الله حيث يقول:

﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾(٢).

وذلك هو موضوع الخطبة والتوجيه فى الإسلام.

ثانياً: مصادر الخطبة الدينية:

ينبغى أن يستمد الخطيب عظته ونصحه من النصوص الشرعية والعلوم الكونية والفضائل النفسية.

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.
(٢) سورة الأنعام الآية ٣٨.

والخطابة الإسلامية الرشيدة هى التى تستمد من القرآن الكريم والسنة المحمدية والنصوص الصحيحة وتسير فى ضوئها. ولنا فى هدى النبى ﷺ خير قدوة وأفضل توجيه. فكثيرا ما كان يخطب بالقرآن الكريم. وفى صحيح مسلم عن أم هشام بنت حارثة ما أخذت ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ إلاعن لسان رسول الله يقرأها كل يوم جمعة إذا خطب الناس.

وكان عمر يخطب أحيانا بسورة النحل:﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾

فالقرآن الكريم والسنة الشريفة والنصوص الصحيحة وأقوال السلف الصالح هى المصادر التى ينبغى أن تستمد منها الخطبة الإسلامية.

وتلك هى الروافد الدافقة التى تمد الخطابة فى الإسلام. وهى الينابيع الصافية التى ينبغى أن يجعلها الخطيب مصدر روائه وغذائه.

ولا غرو فمن معانى القرآن الكريم تتفجر ينابيع الخطابة الصحيحة. والخطابة المستمدة منه هى وقود النهضة الرشيدة وضياء أمة تريد أن تستقيم على دربها، إذ إن أسلوبه فى خلق الضمير الزاكى والفكر الراقى وتقويم السلوك المعوج يكفى ويغنى ويشفى ويهدى للتى هى أقوم﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾[1].

كما أن للقرآن قدرة فذة على قيادة الناس إلى الحق وعلى استثارة أفكارهم واستضاءة مشاعرهم والسمو بهم إلى كل ما هو خير.

ولم يكن الوعاظ والمذكرون فى صدر الإسلام يذهبون إلى أبعد من الكتاب والسنة فى توجيهاتهم ونصائحهم. وكان عماد الخطبة أو العظة فى عصرهم إما القرآن وإما السنة وإما كلام مستمد منهما يدور فى فلكهما ولايتجاوز محيطهما.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٩.

وعندما نتأمل الخطب المروية لنا عن الخلفاء الراشدين نراها محكومة بتلك المعانى التى أشرنا إليها – وسنأتى بنماذج منها فى الباب الأخير– وهى خطب فتحت لنفسها طريق الخلود والبقاء. فمازالت قائمة يرجع إليها الدعاة حينا بعد حين ليقتبسوا منها ويأتنسوا بهديها ويأخذوا منها القدوة. بل ويتعلموا منها فنون الكلام.

وعلى الخطيب أن يحاول جهده فى أن تكون خطبته محكومة بهذا الإطار السابق، ولامانع من الاستئناس ببعض القصص القصيرة والصحيحة خاصة للعامة التى تحب هذا النوع من القول وتطير وراء أصحابه وليكن ذلك بحذر وبقدر.

وفى القرآن الكريم والسنة المطهرة متسع كبير فى هذا المجال قال سبحانه:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(١).

والذى نوصى به الخطيب أن يكون عماد درسه أو خطبته القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة وأقوال السلف الصالح، وعدم الجرى وراء القصص المسلية والإسرائيليات الموضوعة، فإن ذلك موضع نقد شديد وشكوى كثيرة من الجمهور للخطيب. ثم إنه ينبغى ألا يغفل جانب الخطورة التى تعود على المسلمين من رواية الإسرائيليات، نظراً لما تحويه من أباطيل وخرافات نسب بعضها إلى الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، **وذلك من حيث إنها تفضى إلى الآتى:**(٢)

(١) إنها تظهر الإسلام بمظهر الدين الذى يعنى بالترهات والأباطيل التى لاأصل لها. كما أنها تصوره فى صورة دين خرافى يعشق الخرافات ويطير وراءها. ويعنى بأوهام من صنع الخيال.

---

(١) سورة يوسف الآية ١١١.
(٢) انظر ابن الجوزى الواعظ "ص٣١٧/٣٢٠ " رسالة دكتوراه للدكتور جمعة الخولى.

(٢) إن رواية مثل هذه الإسرائيليات تكاد تصرف الناس عما هو أهم فى دينهم ودنياهم وتشغلهم بالتوافه والصغائر عن البحث فى الأحكام والتفاصيل المهمة، وعن التدبر فى آيات القرآن والانتفاع بعبره وعظاته وقصصه الحق، مع أن شغل الناس بمثل هذه الأمور مضيعة للوقت فيما لافائدة من معرفته، ويعتبر البحث عنه عبثاً محضاً.

(٣) إن مثل هذه الروايات لا تذكر هكذا، وإنما تنسب إلى بعض الصحابة والتابعين. الأمر الذى يسيء إلى سمعة صحابة أجلاء وتابعين كرام، ويهز الثقة فيهم، ولعل نتيجة ذلك ما كتبه أبو رية فى كتابه "أضواء على السنة المحمدية" ونال فيه من أمثال الصحابى الجليل أبى هريرة وطعنه فى روايته وعن توثقه، مما جعل العلماء يتصدون له ويردون عليه.

(٤) إنها تشوش على عقائد العامة وأفكارهم لعدم تمييزهم بين الحق والباطل، والحق أن النفس إن لم تكن لها حصانة من علم صحيح وبصيرة نيرة تميز بها بين الحق والباطل كثيراً ما تنطلى عليها تلك الأعاجيب وتسلم فى بساطة ويسر للغرائب ولو كانت أكاذيب.

وكثيرا ما يثير الدهشة ما يرويه بعض العوام من قصص فيها هدم للسنن الكونية. بل وهدم لأركان الدين وأحكامه وترويج للفسق والفجور ودعوة إلى أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا..وأحاديث تنسب لرسول الله ﷺ أو أحد صحابته – رضى الله عنهم– لمجرد هز الثقة أو الإساءة لأحد هؤلاء.. ولذا فقد أوصينا ونوصى الخطيب أن يسير فى نسج خطبه على نور القرآن الكريم والهدى النبوى الشريف وأن يتجنب الجرى وراء الخرافات والأحاديث المجهولة الأصل أو المدسوسة، وأن يتأكد من مصادره قبل أن يلقى بعباراته فى قلوب السامعين قبل أسماعهم.

* * *

وأخيراً إذا كنا قد تحدثنا عن كيفية إعداد الخطب الدينية بإسهاب بعض الشيء، فذلك لأن الخطب الدينية شائعة ولاغنى عنها فى المناسبات الدينية وأيام الجمع وغيرها..

وهذا لا يمنع أن هناك خطبا دينية علمية نخلط فيها بين العلم والدين والتى يجب أن يراعى فيها الخطيب ثقافة المستمعين فى هذا العصر الذين يميلون لسماع العبارات الرقيقة المختارة والأداء العالى فى أسلوب محكم، نظراً لارتفاع مستوى الثقافة فى هذه الأيام عن طريق المرئيات والسمعيات، وكذلك كثرة اطلاع هؤلاء على ما ينشر من ألوف الكتب.

ويجب ألا نغفل الخطب الحماسية السياسية التى يلقيها بعض الزعماء لشعوبهم إزاء بعض المناسبات، سواء للتهنئة بالأعياد القومية أو لتوضيح وشرح حدث معين تمر به البلاد مثلا.

وعموما سنتناول نماذج عديدة من الخطب وطرق إعدادها فيما هو آت، ولكن ليس قبلما نتناول الصفات الواجب أن يكون عليها الخطيب والتى استشففناها مما سبق.

* * *